# صدى فكر محمد عبده الإصلاحي بالجزائر في مطلع القرن العشرين

د. بلبروات بن عتو
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الجيلالي ليابس
(سيدي بلعباس)

**الملخص**

تسلط مداخلتنا الضوء على دور الفكر الإصلاحي للشيخ محمد عبدهً في الجزائر، من خلال اللقاءات و المراسلات و الجلسات العلمية التي نظمها مع شخصيات جزائرية معروفة في تاريخ الجزائر والمقاومة السياسية غير المنظمة التي سبقت الحرب العالمية الأولى.

وفي هدا السياق التاريخي يظهر جليا تأثر المناصل الجزائري عمر راسم بأفكار محمد عبده الاصلاحية حتى أنه سماه مشرفا دينيا على جريدته دو الفقار.

**تمهيد**

تجاوبت الأوساط الجزائرية المثقفة -السلفية والعصرية - في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين مع تداعيات الحركة الفكرية الإصلاحية في المشرق العربي، خاصة مع أفكار

الجامعة الإسلامية التي كانت تدعو إلى تضامن المسلمين من أجل تحقيق الوحدة والقوة بينهم في وجه التوسع الأوربي من خلال تبني الإصلاح الديني والاجتماعي وتمجيد العقل والعودة إلى العصر الذهبي للإسلام، وكان جمال الدين الأفغاني (1838 -1897) وتلميذه محمد عبده ( 1849 -1905) أبرز روادها، وإذا لم يتسن للأول زيارة الجزائر، فإن الثاني قد وفق في زيارتها وتمكن من مجالسة عدد من عقلاء مدينة الجزائر ومدينة قسنطينة رغم إقامته التي لم تتعد عشرة أيام[1].

وعند هذا الحدث التاريخي طرح الكتاب جملة من التساؤلات تدور حول خلفيات هذه الزيارة، ومدى تأثيرها على الجزائريين، حيث ترى بعض الكتابات الفرنسية أن محمد عبده قد خاب أمله في الجزائريين المنغلقين على الأفكار الجديدة، والمندفعين سياسيا وأنه تكلم أمام جمهور صغير. أما الأقلام الوطنية فقد أولت للزيارة أهمية بكونها تعد أحد العوامل التي ساعدت على انتعاش الفكر العربي الإسلامي والنهضة المشهودة.

وعلى أساس ذلك، نحاول تسليط الضوء على أفكار الشيخ الأستاذ محمد عبده وأبرز آرائه في السياسة والدين واللغة والأدب، وحيثيات زيارته للجزائر لأول مرة، وصداها في الأوساط المثقفة التي يقع على عاتقها مهمة نشر أفكار الإصلاح ومحاولة ترجمته على أرض الواقع.

## أولا -فلسفة محمد عبده الإصلاحية

ذكر الباحثون المهتمون بقضايا الإصلاح في العالم العربي والإسلامي أن الأستاذ محمد عبده مثل تيارا إصلاحيا متميزا في طرحه حيث حاول التوفيق بين الاتجاه الإصلاحي السلفي التقليدي، وعلى رأسهم علماء الأزهر بالقاهرة وقتذاك، والاتجاه العلماني التغريبي المنبهر بمنجزات الحضارة الغربية انبهارا أعمى مثل رافع رفاعة الطهطاوي (1801 -1873)، ويقوم توفيقه هذا، على تحقيق الانسجام بين مفاهيم الغرب في النظم والمؤسسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والنصوص الشرعية المستقاة من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وكان مراد هذا الاتجاه الإصلاحي التوفيقي هو محاولة تدشين عصر تنويري جديد في البلدان والمجتمعات العربية والإسلامية، تشبها بما حصل في أوربا وأمريكا، وذلك من خلال الانفتاح على المدنية الحديثة التي يفتقدها المسلمون، مع التقيد التام بقيم الإسلام ومفاهيمه[2] ووزعت الدراسات مضمون الإصلاح عند الأستاذ محمد عبده إلى ثلاثة جوانب هي :

### 1 - الإصلاح السياسي

ركز محمد عبده في فلسفته الإصلاحية السياسية، على المجتمع، الذي يعول عليه كثيرا في عملية التغيير والارتقاء من التخلف إلى التقدم، وقد يستدعي ذلك تربية الفرد العربي والمسلم تربية مدنية حديثة، لكي يفهم أولا، حقوقه وواجباته، فيطالب

بالأولى ويلتزم بأداء الثانية، والمجتمع الواعي المساير للحداثة يؤسس لدولة حديثة، منهاجها السياسي هو الديمقراطية والعمل الشوري والبرلماني بالتعبير المعاصر[3].

ورأى محمد عبده أن الشعوب العربية والإسلامية، ينبغي لها أن تتدرج في ممارسة الديمقراطية، مثلما فعل الغرب المسيحي، وعليها أن تحذر من تقليد هذا الغرب المتفوق، بقفزة واحدة حتى لا تقع في فخ الفوضى والفتنة إن صح القول. كما يجب أن يجتهد ساسة وعلماء الأمة العربية والإسلامية لإيجاد قانون يتوافق مع عاداتها وتقاليدها، والابتعاد عن استيراد قوانين الشعوب الأوربية والأمريكية.

وقد التفت الأستاذ محمد عبده إلى دور الرأي العام أو رأي ومواقف المجتمع، وعبر عنه بالرعية، مشيرا إلى دورها الهام في تقديم النصح فقط للحاكم المنحرف عن المسار المستقيم، من خلال ممثليها الذين تفوضهم للمهمة وهم عادة عقلاء البلاد وعلمائها وفقهائها[4].

على أية حال رأى محمد عبده أن الله أنزل مبادئ عامة تاركا للعقل أمر تطبيقها على قضايا المجتمع الخاصة، وبالتالي فسح المجال للمفاهيم الغربية لتشق طريقها إل البقعة العربية والإسلامية دون الاصطدام بالمفاهيم الإسلامية.

**2 - التجديد الديني**

أراد الأستاذ محمد عبده تحرير الفكر الإسلامي من تقليد السلف باعتماد التحكيم العقلي، فالإسلام عقل، والعقل هو

الأساس الذي نهض عليه الإسلام، والعقل يتمتع بصلاحيات كاملة في مناقشة أي أمر ومسألة تبدو له غريبة. ولاحظ الإمام محمد عبده أن التقليد يناقض العقل بل ويشله، ولا بد من تفسير القرآن الكريم بمقتضى العصر الذي نحياه لأن تفاسير السلف تتعلق بزمانهم، وبيئتهم، ومعيشتهم، ويتوجب على المسلم أن يكون شجاعا وصابرا وثابتا ولا تزعزعه المخاوف بشأن التجديد الديني الذي يرفضه العديد من فقهاء وعلماء الأزهر وغيرهم في عصره.

اختصارا، التجديد الديني حسب محمد عبده لا يكون تاما إلا بتوفر شرطين :

- اعتبار الإسلام أساسا لأي تقدم انطلاقا من أنه دين عقل.

- الأخذ بالعلوم الحديثة لأنها من منتجات العقل، مع عقلنة التراث الإسلامي[5].

### 3 -الإصلاح اللغوي والأدبي

كان الإمام محمدا عبده واعيا للدور الذي يجب أن تضطلع به الكتابة لتجاوز عتبة النهضة والسير قدما نحو التقدم، ولاحظ أن الكتاب، تقع على كواهلهم مهام جسام في عملية التنوير التي يسعى إلى بلوغها، خصوصا لما ندرك الوظيفة التربوية وكذا السياسية للصحف. لذا كان الرجل شديد الحساسية تجاه الأخطاء والعيوب التي لاحظها في الصحف التي تعرف إليها وعلى رأسها الصحف المصرية[6] حيث كانت مقالاتها تتسم بالعجز في وضوح

الفكرة والضعف في الطرح وفبركة الألفاظ وعدم المبالاة بالتقديم والتأخير وإهمال المعجم اللغوي والقاعدة النحوية والبلاغة والإكثار من السجع والتزويق. ..

لقد ربط الأستاذ محمد عبده بين الشكل والمضمون ورأى أن النصوص فقدت شكلها الأنيق ومضمونها العميق، وبالتالي فقدت مبرر وجودها، فهي ليست بأكثر من حبر وقد لوث الورق الأبيض، وعندها لا حاجة لنا بها. لهذا أراد محمد عبده أن يعطي من خلال مقالاته وكتاباته، القدوة للغويين والأدباء العرب في السلاسة اللغوية والجزالة اللفظية والدقة في التزام قواعد العربية مع تطويعها كي تعبر عن الآفاق الرحبة لعقل الإنسان العربي الحديث، وبهذا الصدد أنشأ الإمام "جمعية العلوم العربية" سنة 1899م وكان المراد هو تحقيق النهضة اللغوية والأدبية في ديار العرب المسلمين[7].

وعليه، حاولنا في هذا المقام أن نستعرض أبرز الجوانب التي ميزت الفكر الإصلاحي للإمام محمد عبده والتي كان لها تأثير عميق في نفوس وعقول المصلحين عبر بقاع العالم الإسلامي ومن بينها الجزائر التي كانت تعيش تحت وطأة الاحتلال الفرنسي، يغمر شعبها حيرة وأسفا على ما فاته من فرص وسخطا ونقمة على الوضع الذي آل إليه، ومستعدا لخوض معركة المواجهة والتحدي تحت قيادة عناصر مستنيرة، وهو ما حاول الإمام محمد عبده معرفته حق المعرفة وعلى أرض الميدان، ويتطلب ذلك زيارة الجزائر ومقابلة رجالاتها المستنيرين ومجالستهم وإبداء النصح إليهم.

## ثانيا -الشيخ محمد عبده والجزائر قبل 1903م

خلال عقد الثمانينات من القرن التاسع عشر زار الأستاذ محمدا عبده تونس مرتين، وكانت وقتذاك تحت الحماية الفرنسية، وحسب ما اعتقده أبو القاسم سعد الله أنه قابل عدد من الجزائريين الذين كانوا يشتغلون في الإدارة والصحافة أو يدرسون في جامع الزيتونة، وعرضوا عليه أحوال الجزائر في شؤون التعليم والقضاء والأوقاف والمساجد والحج...

وقد ازداد معرفة بالجزائر حين حل ببيروت ودمشق وربط الصلة مع الأمير عبد القادر، وعرف ابنيه محمد ومحيي الدين والجالية الجزائرية هناك، ومن غير المستبعد أنه تجاذب معهم أطراف الحديث عن الجزائر تحت الحكم الفرنسي وكذا أحوال الشرق والجامعة الإسلامية وجمعية العروة الوثقى، ناهيك عن المراسلات التي كانت بين الشيخ محمد عبده والأمير عبد القادر والتي حملت مخاطبات حول الإصلاح تارة والوداد تارة أخرى[8].

ولاحظنا أن تأثير الفكر الإصلاحي لمحمد عبده وجمال الدين الأفغاني على الجزائريين سبق الزيارة التاريخية لسنة 1903م، حيث كان الشعب الجزائري يتابع ويتفاعل مع آرائهم من خلال مجلة العروة الوثقى الصادرة بباريس ومجلة المنار الصادرة بالقاهرة، وقد وجدت هاتين الصحيفتين الصدى في الجزائر مثل ما فعلت في العالم الإسلامي، حيث ورد عن الأستاذ رشيد رضا (1865 -1935) أن الأمير

عبد القادر الجزائري وأنجاله وأصحابه كانوا أعضاء في جمعية العروة الوثقى[9].

وما يؤكد تأثير الفكر العبدوي على عقلاء الجزائر قبل الزيارة هو ما قام به الشيخ عبد الحليم بن سماية (1866 -1933) عندما تولى وظيفة تدريس علوم اللغة والشريعة والمنطق بالمدرسة الرسمية بالجزائر العاصمة يوم 4 ديسمبر 1896م حيث أقرأ طلبته ولأول مرة في تاريخ التعليم العالي بالجزائر الكتب التالية :

- ❖ كتاب دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للجرجاني.
- ❖ كتاب الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي.
- ❖ تلخيص المفتاح لجلال الدين القزويني.
- ❖ البصائر النصيرية في المنطق لأبي سهلان، بتعليقات الشيخ محمد عبده.
- ❖ المفصل في النحو للزمخشري.
- ❖ رسالة التوحيد للإمام محمد عبده[10].

**ثالثا -زيارة محمد عبده لمدينتي الجزائر وقسنطينة سنة 1903م**

**1 -زيارته لمدينة الجزائر العاصمة**

طرح الدكتور أبو القاسم سعد الله في تاريخه الثقافي جملة من التأويلات حول برمجة الزيارة وترتيبها، جعلتنا نتساءل : هل هي زيارة بتخطيط فرنسي أم بريطاني أم هي بإرادة وتخطيط الأستاذ محمد عبده ؟ واعتمادا على رشيد رضا وبعض المقاربات التاريخية

كانت الزيارة بمبادرة الشيخ محمد عبده إلا أنه سافر إلى فرنسا للحصول على رخصة الدخول إلى الجزائر، وهنا نعتقد أن السلطة الفرنسية أشرفت على مسار الزيارة وتخطيطها حيث دعت أبا القاسم الحفناوي (1850 -1942) محرر جريدة المبشر الرسمية، بمرافقته على متن الباخرة إلى حين وصولها أرض الجزائر بتاريخ 27 أوت 1903م، ليتم اصطحابه من ميناء مدينة الجزائر إلى السلطات الاستعمارية الفرنسية من قبل عملاء سريين.

لقد قابلت واستقبلت الحكومة الفرنسية بالجزائر، الأستاذ محمد عبده بحفاوة -رغم ما ورد في الرسالتين القادمتين من مصر من تهم خطيرة بحق الرجل ومفادها أن الشيخ محمد عبده هو أداة تحريض للمسلمين على الثورة والعصيان، والخروج على الحكومة - لأنها كانت تعلم مكانته الدينية والعلمية في العالم العربي والإسلامي، لكنها اتخذت احتياطاتها حيث بثت حوله جواسيس سريين في كل مكان يتبعون خطواته ونظراته، ويكتبون التقارير عنه وعن زواره، حتى أن الشيخ محمد عبده انزعج من تهورهم.

أقام الشيخ محمد عبده بمنزل مصطفى الأكحل الكائن بحي الحامة (بلكور)، قرب ضريح الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري. ويروى أن هذا المنزل كان مفتوحا لجلسات المثقفين الجزائريين ولإقامة المسلمين الأجانب، ويذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله أن السلطة الفرنسية هي التي رتبت لقاءات محمد

عبده مع أعيان مدينة الجزائر، ويشكك في بعض الروايات التي جعلت من اللقاءات عفوية[11].

على أية حال زار الشيخ محمد عبده، بمنزل مضيفه، جزائريون متعلمون ومثقفون ومتسيسون، معظمهم من الموظفين لدى الإدارة الفرنسية، وهم مصنفون إلى ثلاثة أصناف :

-صنف المحافظين : على رأسهم ابن زكري، المجاوي، عبد الحليم بن سماية، بوقندورة، ابن زاكور، وابن الحاج موسى.

-صنف العصريين : وعلى رأسهم محمد بن مصطفى خوجة، محمود كحول، مصطفى الشرشالي، عبد الرزاق الأشرف، ومحمد بن أبي شنب، وعمر راسم.

- صنف المتفرنسين : على رأسهم ابن التهامي، أحمد بن بريهمات (ابراهيم)، أحمد بوضربة، حمو أبو علام، وحمدان بوركايب.

وتحدث الباحثون عن الدرس الذي قدمه الشيخ محمد عبده بمسجد الأكحل بالحامة (بلكور) والذي كان عبارة عن تفسير لسورة "والعصر"، دام قرابة ساعتين، وقد حضره ما بين 150 إلى 200 شخص من مختلف أنحاء القطر الجزائري، وحضر بالصدفة وفد مغربي رسمي كان يزور الجزائر، ولعل اختيار الشيخ محمد عبده لهذه السورة القصيرة والتي سبق أن شرحها في جامع الأزهر، لتكون برهانا قرآنيا على ضرورة تحلي المسلم بالصبر والصلاة والتعلق بالله وفعل الصالحات[12].

كما اهتم الشيخ محمد عبده أثناء إقامته بمدينة الجزائر بالأوضاع التي يحياها طلبة القرآن والسنة النبوية وأساتذة المدارس الإسلامية ملاحظا بأنهم يتمتعون بتكوين متكامل غير أنهم لا يبذلون جهودا كافية. وتعجب لرؤية شؤون العبادة والقضاء موكولة إلى موظفين، كما لا حظ محدودية القضايا التي تعالج في المحاكم الإسلامية بالجزائر[13]. وإثر عودته إلى مدينة الجزائر قادما من قسنطينة، وقعت بينه وبين المتفرنس "بن بريهمات" مجادلة حول النشاط السياسي، فألقى بالمناسبة خطبة في يوم 05 سبتمبر، بحي بلكور في مسكن مضيفه، مصطفى الأكحل، موضوعها "الصبر والمصابرة" حث من خلالها الجزائريين المسلمين على الامتزاج بالعنصر الفرنسي والمساهمة بنشاط أكبر في جميع القضايا المتعلقة بمصالح الجزائريين. كما ناشد السلطات الفرنسية بحسن معاملة الجزائريين وتطوير التعليم العمومي[14].

ولخص الشيخ محمد رشيد رضا –مدير مجلة المنار المصرية - الأفكار التي بثها الشيخ عبده في الجزائريين، نذكرها كالآتي :

- الحرص على تحصيل العلوم الدينية والدنيوية.
- الحث على العمل وعمران البلاد.
- النصح بمسالمة الحكومة الفرنسية.
- ترك الاشتغال بالسياسة لكي تساعدهم الحكومة على تحقيق الغرضين الأولين.

وقد شرح رشيد رضا معنى ترك الاشتغال بالسياسة بأنه لا يعني عدم مخاطبة الحكومة في المظالم التي تضر بهم كالقوانين الجائرة والمعاملات التعسفية، وكأنه يريد أن يقول أن السياسة هي التحزب والتآمر ضد الحكومة وعصيان أوامرها والثورة عليها. وكيف يثور الجزائريون على الحكومة الفرنسية وهم عاجزون عن منافستها[15].

**2 -زيارته لمدينة قسنطينة**

على متن القطار أدى الشيخ محمد عبده زيارة خاطفة لمدينة قسنطينة، ويعتقد الدكتور أبو القاسم سعد الله أنه اجتمع بالشيخ المولود بن الموهوب، والشيخ حمدان الونيسي[16]. وذكر شارل روبير أجيرون Ageron أنه تهجم على المرابطين الذين يشدون الناس مكبلين إلى الجهالة كما استنكر الشيخ عبده الإثارة السياسية التي يقودها الشبان الجزائريون[17].

**رابعا -صدى الفكر الإصلاحي العبدوي بمدن الجزائر الكبرى**

زار الشيخ محمد عبده مدينتين هما من كبريات المدن الجزائرية في مدة وجيزة جدا، فمن المنطقي أن تكون نشاطاته عبارة عن لقاءات ومجالسات بينه وبين علماء ومثقفي المدينتين المؤمنين والمتحمسين للعملية الإصلاحية، فينصحهم ويوجههم، ثم يغادر البلاد، تاركا أنصاره للتكفل بنشر الأفكار الإصلاحية على النهج العبدوي.

وعلى هذا الأساس ارتأينا أن نبرز أبرز الشخصيات الجزائرية ومجمل نشاطاتها الفكرية والثقافية والتي صارت إن صح التعبير أعمدة الإصلاح الإسلامي على النهج العبدوي في مطلع القرن العشرين، وذلك حسب ثلاثة مدن كبرى معروفة في الجزائر هي : الجزائر العاصمة، قسنطينة، ووهران، حتى نتمكن من نسج تصور شمولي لصدى الفكر الإصلاحي العبدوي بالقطر الجزائري.

**1 - بمدينة الجزائر**

**أ -الشيخ محمد بن مصطفى خوجة (الكمال)**

كان الشيخ محمد بن مصطفى خوجة المدعو بالكمال مثقفا جامعيا جزائريا عصريا، وعالما معربا، وناقدا أدبيا، ومحققا لنصوص أدبية وتاريخية، ذاع صيته العلمي في المشرق العربي وعين عضوا بالأكاديمية العربية بدمشق. لذا كان الأستاذ خوجة من أخص العلماء الذين لازموا الإمام محمد عبده طوال أيام إقامته بالعاصمة، وقد تعلق الشيخ الجزائري بالفكر الإصلاحي الديني للإمام محمد عبده حيث كان يتابع ما تنشره جريدة المنار المصرية التي كانت تنشر كتابات محمد عبده في العقائد وتفسير القرآن، تحت عنوان "أمالي دينية" ثم يقرؤها على العلماء والطلبة والأعيان عشر مرات في مجالس متفرقة، فاستحسن العلماء ما يكتبه محمد عبده لما فيه من الفوائد داعين له بالخير، وعلى أساس ذلك كان

الشيخ خوجة يكاتب محمد عبده مبديا أثر كتاباته على أهل الفكر والثقافة من الجزائريين الغيورين على دينهم ووطنهم[18].

وبالنسبة لتفسير محمد عبده لسورة "والعصر" فقد نشره مصطفى بن خوجة في كتيب خاص، ثم كرر إلقاء التفسير على منبر خطابته بجامع صفر، وأثنى على فكر الشيخ عبده وكان يسميه : "شيخنا المبرز عالم علماء الكون" واقتفى أثره في امتداح سماحة الإسلام والمساواة بين المرأة والرجل والنهي عن استعباد المرأة في منزلها[19].

**ب -الشيخ عبد الحليم بن سماية**

كان عبد الحليم بن سماية أول من قابل الإمام محمد عبده لما زار الجزائر سنة 1903م، بل ولازمه وجالسه ليلا ونهارا ولم يفارقه طوال أيام إقامته بالعاصمة، وقد مدح ابن سماية الإمام عبده بعد مغادرته الجزائر، بقصيدة، يفوق عدد أبياتها الخمسين بيتا، بعثها إلى مجلة المنار المصرية التي يديرها محمد رشيد رضا، ونشرت في عددها الصادر يوم 6 ذي القعدة 1321هـ/3 فبراير 1904م[20].

وقد تواصلت المراسلة بين الشيخ محمد عبده وابن سماية بعد الزيارة، فمن جزيرة صقلية كتب محمد عبده رسالة إلى ابن سماية، مدحه فيها بالفضل والعلم والأدب والأخلاق، وتنبأ له بأنه سيكون إمام قومه في الهداية إلى سبيل الرشاد، كما أوصاه بمتابعة تعلم اللغة الفرنسية، ودراسة أخلاق الناس، والتعمق في تاريخ الأمة

الإسلامية، والتطور الديني والتعاون مع إخوانه مثل ابن خوجة ومفتي الحنفية بوقندورة، وحذره من النظر في سياسة الحكومة أو غيرها من الحكومات وأن الناس محتاجون إلى العلم والإخلاص في العمل[21].

### جـ -عمر راسم

ولد عمر أو عمير راسم سنة 1302هـ/1883 -1884م ببجاية، ينحدر من أصول تركية، اسمه المستعار الذي يظهر في كتاباته الصحفية هو "ابن منصور الصنهاجي"، حفظ القرآن الكريم في سن السابعة من عمره، ثم اشتغل حزابا بجامع صفر (سفير) في سن الثانية عشر، تلقى قليلا من النحو علي يد الشيخ مصطفى بن خوجة، ثم دخل مدرسة الجزائر الشرعية الفرنسية ودرس فيها سنة واحدة فقط ثم أخرج منها. ولما كان تكوينه غير كاف، عزم على تثقيف نفسه واستفاد من الحركة الفكرية السائدة وقتذاك، ويظهر جليا أن عمر راسم قد تأثر بأفكار محمد عبده الإصلاحية، وهذا ما تدل عليه كتاباته في الجرائد التونسية والجزائرية حيث هاجم سنة 1908م أسلوب منح النياشين إلى الجزائريين من يد السلطات الفرنسية مقابل خدماتهم وولائهم على حساب الشعب والمصلحة الوطنية، كما هاجم مساوئ الحضارة الغربية، وانتقد السياسة الاندماجية والفئة الجزائرية المندمجة واتخذ موقفا صريحا من الصهيونية والتجنيد الإجباري سنة 1912م.

وفي سنة 1908م أنشأ عمر راسم جريدة الجزائر الناطقة باللسان العربي، وكانت جريدة أدبية وتربوية في قالب ديني، هدفها تثقيف وتهذيب الجزائريين، ولم يصدر منها إلا أربعة أعداد فقط لأسباب مالية. وبالتعاون مع زميله عمر بن قدور أصدر جريدة الفاروق سنة 1913م، ثم قرر أن يصدر جريدة خاصة به تسمى جريدة ذو الفقار سنة 1914م ولم يصدر منها كذلك سوى أربعة أعداد، وقصد اتقاء شر الفرنسيين جعل الجريدة تحت اسم عالمين أحدهما فرنسي "هنري الروشفورHenri Rochefort" والثاني مسلم هو الشيخ محمد عبده. كما ساهم أيضا في تحرير جريدة الحق الوهراني سنة 1911م التي سنتطرق لها لاحقا.

عمدت السلطة الاستعمارية الفرنسية إلى تدجين عمر راسم المتميز بلهجته وانتقاداته الحادة للسياسة الفرنسية وأعوانها من الجزائريين، فدعته إلى الاشتغال بجريدة المبشر الرسمية رفقة أبي القاسم الحفناوي وعمر بن قدور، ونعتقد أن التدجين لم يفلح فاتهمته سنة 1915م بالتواطؤ مع أعداء فرنسا في الحرب العالمية الأولى، فسجن ليطلق سراحه سنة 1921م. ومن أهم مقالاته الدالة على تأثره بأفكار محمد عبده نذكر :

-اليقظة الجزائرية : المنشور بجريدة مرشد الأمة (التونسية) حيث رأى أن الجزائريين يعانون من فساد أخلاقي واجتماعي، ومن الفقر والجهل، ومن كذب الخطباء السياسيين والجرائد، وكل ذلك يحدث في كنف الاستعمار الفرنسي.

- الإسلام والمسلمين : المنشور بجريدة ذو الفقار، ومن خلاله دعا عمر راسم إلى الثورة على الوضع العام الذي يحياه المسلمون الجزائريون وغيرهم من ربى وسلب وجفاء بين المسلمين وانعدام الإحسان والجنوح إلى الكسل والخمول والتواكل وتقليد الفرنسيين في عاداتهم وتقاليدهم. ثم دعا في مقابل ذلك إلى نبذ كل هذه الأخلاق السلبية والتحلي بالفضيلة ومكارم الأخلاق، والبحث معمقا عن الأسباب التي ساقت الأمة العربية إلى القوة والسؤدد، وإلا اندثرنا[22].

ويظهر أن هؤلاء الرواد الإصلاحيين المتأثرين بالشيخ محمد عبده قد أثمرت جهودهم قبيل سنة 1914 بطرح الشباب المثقف لفكرة إنشاء "مجلس العلماء" وكان الهدف هو إيقاظ العامة من سباتها، وإعطاؤها الأمل والثقة في النصر المبين الذي سوف يحققه الدين الإسلامي، وربما ارتسم في الأفق عقد مؤتمر لمسلمي شمال إفريقيا تأسيا بالاجتماعات الكبيرة التي كان مسلمو روسيا يعقدونها[23].

**2 - بمدينة قسنطينة**

يظهر أن أفكار محمد عبده وجدت صداها في مدينة قسنطينة حيث انتقد الشيخ "بن ميهوب" سنة 1910 بشدة العادات البالية والاعتقاد والاستعانة بالجن والممارسات شبه الوثنية، وعبر عن ذلك في قصيدة هزلية تشتمل على حوالي مائة بيت، نشرها في صحيفة "كوكب افريقيا". كما تصدت صحافة الشبان الجزائريين، لمحاربة المرابطين والطرقية وذبح القرابين، بلهجة واضحة وصريحة.

ومنذ سنة 1911 شرع الشيخ عبد الحميد بن باديس في نشر دعوته الإصلاحية انطلاقا من قسنطينة، وأسس أولى المدارس المجددة بالجامع الأخضر لإسداء تعليم قرآني خالص ونقض الشعوذة المنتشرة في منطقة المغرب العربي[24].

ولما كانت الصحف هي الوسيلة المثلى لنشر الأفكار الإصلاحية، أصدر الشيخ عبد الحميد بن باديس جريدة المنتقد سنة 1925 ثم استبدلت بجريدة الشهاب في السنة ذاتها، ثم البصائر سنة 1936، كما كان يشرف على صحيفة الدفاع الناطقة باللغة الفرنسية والصادرة سنة 1934[25]. لقد قاد عبد الحميد بن باديس المتأثر بالمنهج الإسلامي للشيخ محمد عبده، الحركة الإصلاحية ما يقرب ثلاثين سنة (1911 -1940) وكان يؤمن منذ البداية أن أحسن وسيلة لإعادة بناء الشخصية الوطنية الجزائرية التي هدمها الاستعمار هي تربية الأجيال وتعليمها وزرع الوعي في نفوسها، وللقيام بهذه المهمة وضمان استمراريتها أنشأ جمعية اعتمدت قانونيا من طرف السلطة الاستعمارية سماها "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" سنة 1931[26].

### 3 - بمدينة وهران

رغم أن الشيخ محمد عبده لم يزر مدينة وهران، إلا أن أفكاره الإصلاحية احتضنها مثقفو وهران، فبعد أحد عشر شهرا من مغادرة عبده لأرض الجزائر، بعث الشيخ علي بن عبد الرحمن – مفتي وهران - الملقب بالشويوش رسالة إلى الشيخ عبد الحليم بن سماية ملتمسا منه أن يكشف له نظريته الخاصة في شخصية الشيخ

محمد عبده ومستطلعا رأيه عن سلوكه وعلمه وأخلاقه وعاداته، فرد عليه ابن سماية ذاكرا له أن الشيخ عبده مصلح إسلامي شاع ذكره واشتهر أمره، حنكته تجارب الزمان، واستقصى أحوال الأمم وتطلع من الفنون على اختلاف أنواعها ومواضيعها، وتدبر في القرآن الكريم، وطابق فعله قوله، ومزاياه عديدة على الشعوب الإسلامية في بعثها نحو التقدم والرقي والمجد[27].

وفي سنة 1911 أصدر الشباب المثقف بوهران جريدة "الحق الوهراني" واستمرت إلى غاية أوت 1912، وحررت أول مرة باللغة الفرنسية، وبداية من عددها الواحد والثلاثين أضيفت صفحتان باللغة العربية. ثم ألحقت عنوانها الرئيسي بعبارة "الفتى المصري" واعتبرت هي الأخرى مثلها مثل جريدة ذو الفقار، الشيخ محمد عبده مشرف روحيا لها. ويلاحظ المتتبع والمحلل لهذه الجريدة الوهرانية أن أعمدتها وطروحاتها كانت تدافع عن حقوق المسلمين الجزائريين، رافضة لتجنيد الشباب الجزائري في الجيش الفرنسي بكل وضوح، كما كانت تطرح على بساط النقاش نوايا الآباء البيض المسيحيين ضد الإسلام. أما فيما يخص التجنيس فقد أوضحت خطها المعادي له وأنذرت المجتمع الجزائري بفطانة من فخ تقسيم الجزائريين. ونشير أن المناضل عمر راسم قد ساهم في تحرير الجريدة باسمه المستعار "ابن منصور الصنهاجي".

وفي السنة ذاتها (1911) أسست اللجنة المشرفة على الجريدة "النادي الوهراني المسلم" وهو النادي الذي كان يتردد عليه ويجتمع فيه الشباب المثقف بالقطاع الوهراني مثل أمحمد بن رحال الندرومي، وابن سعد، والعربي فخار. وفي 1912 تم تأسيس "جمعية

المدرسين الأهالي بعمالة وهران" عرفت باسم "جمعية الصداقة" وكان على رأسها المناضل "معبد بن عودة"[28].

**خاتمة :**

تركت زيارة الشيخ محمد عبده للجزائر واتصاله بعناصر محافظة وعصرية بل وحتى مفرنسة انطباعا حسنا استمر وقتا طويلا، وإذا كان محمد عبده شخصيا لم يؤثر كثيرا على الجزائريين فإن أفكاره عن الإصلاح الديني وعن الجامعة الإسلامية كانت معروفة في كامل أرجاء الجزائر، فقد نشرت كل من جريدة المغرب، ذو الفقار، الإحياء، والحق، أفكاره وآراءه عن الشؤون الإسلامية دون إغفال دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي نجح في تمرير الرسالة الإصلاحية على النمط الإسلامي إلى كافة الجزائريين الذين برهنوا تاريخيا على تفتحهم على الأفكار الحاصلة في العالم، وما الهجرة الفردية والجماعية التي عرفتها الجزائر أثناء الحقبة الاستعمارية إلا دليلا على هذا التفتح على العالم الخارجي.

وأخيرا نعتقد أن الشيخ محمد عبده أدى زيارته للجزائر وقسنطينة سنة 1903 لإيجاد علماء جزائريين يتحلون بالشجاعة لنشر أفكاره وأفكار الجامعة الإسلامية ويحملون على كواهلهم عبء الإصلاح، ولولا مرضه بالداء الخبيث (السرطان) ووفاته سنة 1905، لزار الشيخ محمد عبده الجزائر ثانية مثلما زار تونس ثلاث مرات، ولتمكن أيضا من زيارة المغرب الأقصى التي لم يزرها قط.

## الهوامش :

(1) أبو القاسم سعد الله. **الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثاني 1900 - 1930**، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، 1983. ص 113.

(2) أبو حمدان سمير. **الإمام محمد عبده، جدلية العقل والنهضة**.الشركة العالمية للكتاب، لبنان، 1423هـ/1992م، ص 61.

(3) المرجع نفسه، ص. 62 -63.

(4) المرجع نفسه، ص. 70 -73

(5) المرجع نفسه، ص. 101 -117.

(6) بالنسبة للصحف الجزائرية لا حظ الشيخ محمد عبده أخطاء في جريدة المغرب ذات اللسان العربي، عند زيارته للجزائر سنة 1903.

(7) أبو حمدان سمير. المرجع السابق، ص. 144 -152

(8) أبو القاسم سعد الله. **تاريخ الجزائر الثقافي 1830 -1954**. دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 2005، المجلد الثالث، الجزء الخامس، ص 584.

(9) طهاري محمد. **مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده**. الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الطبعة الثانية، 1992. ص 152.

(10) ابن محمد الجيلالي عبد الرحمن. **تاريخ الجزائر العام**. الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة السابعة، 1415هـ/1994م. ص 406.

(11) أبو القاسم سعد الله. **تاريخ الجزائر الثقافي**...المرجع السابق، ص 590.

(12) المرجع نفسه، ص 591.

(13) أجيرون شارل روبير. **الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871 - 1919**. تر : م. حاج مسعود، ع.بلعريبي، الجزء الثاني، الجزائر، دار الكتاب، 2007، ص 511.

(14) المرجع نفسه، ص 512.

(15) أبو القاسم سعد لله. **تاريخ الجزائر الثقافي**...ج5، المرجع السابق، ص. 587 - 589.

(16) المرجع نفسه، ص 590 (هامش 3).

(17) أجيرون شارل روبير. المرجع السابق، ص 512.

(18) ابن محمد الجيلالي عبد الرحمن. المرجع السابق، ص 450.

(19) أجيرون شارل روبير. المرجع السابق، ص 509. ولمزيد من المعلومات حول مصطفى بن خوجة، طالع : لونيسي ابراهيم. "محمد بن مصطفى بن الخوجة : حياته وأفكاره 1865 -1915)" **مجلة عصور**، العدد الثاني، جامعة وهران، ديسمبر 2002، ص. 153 -162.

(20) ابن محمد الجيلالي عبد الرحمن. المرجع السابق. ص.406 -407.

(21) أبو القاسم سعد الله. **تاريخ الجزائر الثقافي**... ج5 المرجع السابق، ص 593.

(22) المرجع نفسه، ص. 285 -289.

(23) أجيرون شارل روبير. المرجع السابق، ص 514.

(24) المرجع نفسه، ص. 513 -514.

(25) عواطف عبد الرحمن. الصحافة العربية في الجزائر -دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954 -1962. الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص. 34 -38.

(26) قلايلية العربي. "منهج ابن باديس الإصلاحي وأثره في بناء الشخصية الوطنية الجزائرية" **مجلة عصور**، العدد الثاني، جامعة وهران، ديسمبر 2002. ص 104.

(27) ابن محمد الجيلالي عبد الرحمن. المرجع السابق، ص. 414 -415.

(28) مهديد ابراهيم. "الصراع حول الهوية والانتماء العربي الإسلامي من خلال الصحافة الجزائرية : جريدة الحق الوهراني نموذجا". **مجلة عصور**، العدد السادس -السابع، جامعة وهران، 2005، ص. 16.

---